﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس: 75]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بيانُ خيبةِ أملِ الكافرين

لمّا أخبر الله تعالى عن رجاء المشركين أن تَنْصُرَهُم آلهتُهم؛ أخبر عن خَيْبةِ رجائِهم في أنَّ هذه الآلهةَ لا تستطيع نصرَهم، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾.

ومن أوجهِ المناسبَةِ بين الآيتين: أنَّهُ لمّا كان للنَّصرِ سببان: ظاهريٌّ، وهو اجتماعُ العدد والعدَّة، وأصليٌّ باطنيٌّ، وهو الإله المجتمَع عليه؛ بيَّن غلطهم بتضييعِ الأملِ، وأنَّهم لم يَبْلُغوا ما أرادوا، بل حصلَ العكس، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الآية.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

من لا يستطيع دفعَ الضُّرِّ عن نفسِه؛ لا يستطيع دفعه عن غيرِه

يقول الله تعالى: لا تستطيعُ آلهةُ المشركين أن تنصرَهم، والحالُ أنَّ هؤلاءِ المشركينَ جُندٌ مُحضَرونَ لهذه الآلهةِ؛ فكيف تَنصُرُهم، وهي لا تَنصُرُ نَفْسَها؟ ولا تقدر على الانتقام ممَّن أرادها بسوء؛ لأنَّها جمادٌ لا تسمَعُ، ولا تَعْقِل[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبةُ الفصل في الآية:

بيانُ خيبَةِ أملِ الكافرينَ وبطلان رأيِهم

فُصِلَتِ الآيةُ الكريمةُ عمّا قبلها؛ لكونها استئنافًا بيانيًّا؛ فإنَّ الله تعالى لمّا قال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ أورثَ ذلك في نفس المتلقّي سؤالًا: هل يستطيعون نصرَهم؟ وهل بلغ المشركونَ ما أَرادوه مِن آلهتِهم الباطلةِ؟ فجاء الجوابُ في قولِه: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾، والجواب وإن كان معلومًا، ولكنَّه جاء ردًّا

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 593، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 174، والقاسمي، محاسن التَّأويل: 8/ 195.

عليهم، وللإخبار عن خيبة أملِهم وبطلان رأيهم وقطع رجائِهم منهم، أي: لا تقدرُ آلهتُهم على نصرِهم[1].

فائدة ﴿لَا﴾:

استمرارُ نَفْيِ النَّصرِ عنهم

حرفُ النَّفي ﴿لَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ يفيد استمرارَ النَّفي، ولا يُرادُ به نفي الحال والاستقبال فقط، أي: إنَّ عدمَ استطاعتِهم نصرَهم مستمرٌّ، وقوّى هذا المعنى التَّعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ ليُفيدَ استمرارَ النَّفي وتجدُّدَه حالًا فحالًا.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ الاستطاعة:

نفيُ الاستطاعةِ عن الفعل أبلغُ من نفي الفعل

لمّا كان لفظُ الاستطاعةِ في قوله: ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ بمعنى الطّوع – وهو وجودُ ما يكون به الفعل مُتَأتّيًا – وكان ضدُّ الاستطاعة العجزَ؛ أفاد قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أنَّ الآلهةَ لا يتأتّى منها القدرة على نصرِهم، لا بنفسِها ولا بغيرِها، وذلك لأنَّه ليس في استطاعتِها إحداث أيِّ فعلٍ، فهي عاجزةٌ، وإنَّما عبَّر بنفي الاستطاعة دون العجز، بأن يقال: (يعجزون عن نصرِهم)، ودون نفي النَّصر أصلًا، بأن يقال: (لا ينصرونهم)؛ لأنَّ نفيَ الاستطاعة أبلغُ من غيرِه مطلقًا؛ إذ إنَّه يفيد نفيَ القدرة والتَّأهُّل والاستعداد عن نصرِهم، فيدلُّ على القطع بنفي نصرِهم، وتجهيلهم في تدبيرِهم ورأيِهم، ويُشْعِرُ نفيُ الاستطاعةِ أيضًا بأنَّ الكافرين وإن حاولوا، وتكلَّفوا؛ فإنَّ آلهتَهم لا تستطيع نصرَهم، كما أنَّ نفي ما توهَّموه من استطاعة الآلهة أبلغُ مِنَ التَّعبير بالعجز أصالةً؛ لأنَّ الكلامَ في سياق الرَّدِّ عليهم، فإنَّهم لمّا كانوا يرجون نصرَهم؛ كان نفي استطاعتِهم النَّصرَ في قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أبلغَ في الرَّدِّ على الكافرين، وأقوى تمكُّنًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 175، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 179.

في نفوسِهم من أن يقال: (يعجزون عن نصرِهم) أو (هم عاجزون عن نصرِهم).

نكتةُ التَّعبيرِ بضميرِ العاقل عَن غير العاقل:

بـطـلانُ اتِّـخـاذ آلـهـةٍ مـن دون الله تعالى ولو كانت الآلهةُ مِنَ العقلاء

الظّاهر أنَّ الضَّمير في قوله: ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ يعود إلى آلهة الكفّار من الأصنام، وفي قوله: ﴿نَصْرَهُمْ﴾ يعود إلى الكفّار أنفسِهم، والمعنى: لا تستطيع الأصنامُ نصرَ الكفّار، فأُجْري على الأصنام ضميرُ العقلاء (الواو) في قوله: ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ لأنَّهُم سَمّوا آلهتَهم بأسماء العقلاء، وعاملوها معاملتَهم، وزَعَموا لَها إدراكًا[1]، ولأنَّه أُخْبِر عنهم بفعل الاستطاعةِ الَّذي لا يكون إلّا لمن له علمٌ وإدراك؛ وللإشعارِ بأنَّ الإلهَ لا يكون إلّا عالمًا، فعلى هذا يكون التَّعبيرُ بضمير العقلاء تهكُّمًا بهم، بطريق الاستعارةِ التَّهكُّميَّة؛ لاتِّخاذِهم آلهةً يعبدونها من دونِ اللّهِ تعالى، وهي في الحقيقة جماداتٌ لا تسمع، ولا تعقل، وفيه إيماءٌ أيضًا إلى أنَّ من يتَّخذ من دون الله آلهةً، فهو على باطل، وإن كان إلهُهُ الذي يعبده، يسمَعُ، ويعقل، فالإلهُ الواحدُ الأحدُ هو الله تعالى.

دلالةُ الواو في ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ﴾:

التَّـعـجـيـبُ من حـال الكافرين في دفاعِهم عن آلهتِهم

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ حاليَّةٌ، وجملةُ الحالِ بعدها تفيد التَّعجيبَ من شأنهم، والضَّمير (هُم) يعود إلى الكفّار، وضمير ﴿لَهُمْ﴾ راجعٌ إلى الآلهة التي أشركوا بها، والمعنى: والحالُ أنَّ الكفّار جندٌ متحزِّبون لهذه الآلهةِ في الدُّنيا.

وفائدةُ التَّعبيرِ بواوِ الحال: هو أنَّ الله تعالى لمّا أخبر أنَّ الكافرين اتَّخذوا من دون الله آلهةً طمعًا في أن يتقوَّوا بها، ويعتضدوا بها، وأخبر أنَّ الآلهةَ لا تسطيع نصرَ الكافرين، إذا حَزَبَهُم أمرٌ؛ بيَّن أنَّ الأمرَ على عكس ما قدَّروا، وأنَّ الحالَ أنَّ الكفّارَ جندٌ لآلهتهم

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 192، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 70.

محضرون، أي: مع كونِ الآلهة لا تستطيع نصرَهم، فإنَّ الكافرين يذبّون عنها، ويغضبون لها، وصاروا جندًا لها، ففيه تعجيبٌ من حالِ المشركين، وتيئيس لهم من نفعِ أصنامِهم، وبيانٌ لسفاهةِ عقولِهم، وتوبيخٌ لهم على تركِ عبادة اللّه تعالى واستبدالِها بعبادة من لا يقدر على شيءٍ.

ويحتمل أن يعود الضَّميرُ (هُم) إلى الآلهةِ، ويعود ضمير ﴿لَهُمْ﴾ إلى الكفّار، والمعنى: والآلهةُ جندٌ محضرون للكفّار، أي: يوم القيامة، بأن يقال: الكافرون اتَّخذوا الآلهةَ من دون اللّه لينصروهم عند اللّه تعالى، ويشفعوا لهم يومَ القيامةِ، والحالُ هو أنَّ الأمر على عكسِ ما توهَّموا؛ حيث إنَّ الآلهةَ يوم القيامة جندٌ معدّون للكافرين مُحضَرون لعذابِهم؛ لأنَّهم يُجعلَون وقودًا للنار، فعلى هذا الوجهِ يكون قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾؛ تأكيدًا لقولِه: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾، فإنَّه لمّا كانت الآلهةُ لا تستطيع نصرَهم حالَ ما تكون جندًا لهم ومحضرةً لنصرتِهم؛ دلَّ ذلك على عدم استطاعتِهم[1]؛ ليفيد الكلامُ أنّ ليس عدمُ استطاعتِهم نصرَهم لبعدِ مكانِهم، أو تأخُّرهم في استصراخِهم، بل هم لا يستطيعون نصرَهم، والحالُ أنَّهم جندٌ محضرون لهم، أي: إنَّ اللّهَ تعالى يُحضِرُ الأَصنامَ حينَ حَشْرِ عُبّادها إلَى النّارِ ليُريَ المُشركينَ خَطَلَ رَأْيِهم وخَيبَةَ أَمَلِهم، فهذا وعيدٌ بعذابٍ لا يجدونَ منهُ مَلجأً[2].

سببُ إيثارِ التَّعبيرِ بجملةِ الحال:

ظهورُ عجز آلهةِ المشركين غايةَ الظُّهورِ

جاء التَّعبيرُ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ بطريق الحال؛ لقصد المبالغةِ في الرَّدِّ على الكافرين والتَّعجيب من حالِهم، وبيان ذلك: أنَّه لمّا كانت جملة: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ حالًا من

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 552 - 553، والزمخشري، الكشاف: 4/ 29، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 463، وابن كثير تفسير القرآن العظيم: 6/ 593.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 71.

ضمير الواو في ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، وكانت الحالُ على معنى اقترانِها بصاحبِها في الوقت؛ أفادَ المبالغة في انتفاء قدرتهم على نصرتِهم وعجزِهم عن الذَّبِّ عنهم، فإنَّ مَنْ حَضرَ، واجتَمعَ مع كثرة العددِ والعدَّةِ، ثُمَّ عَجزَ عن النُّصرةِ، ولم يقدر عليها في ذلك الوقت، يكون ظاهر الضعفِ، بخلاف من لم يتأهَّبْ، ولم يَجمَعْ أنصارَهُ[1].

دلالةُ اللّام في ﴿لَهُمْ﴾:

تنوُّعُ دلالةِ اللّام توسيعٌ للمعنى وتكثيرٌ لَهُ

اللّام في قوله: ﴿لَهُمْ﴾ دالَّةٌ على الاختصاص[2]، والمعنى: هم مختصّون بالذَّبِّ عن آلهتِهم ينصرونهم، ويدفعون عنهم، كما يختصُّ الجندُ بنَصْرِ مَن يدفعون عنهم.

ويحتمل أن تكون اللّامُ تعليليَّةً، بمعنى: لأجل، فتكون اللّامُ دالَّةً على النَّفع[3]، أي: هم صاروا جندًا محضرين لأجلِهم، فيذبّون عنهم، ويدفعون سبَّهم وشتمهم؛ ليفيد التَّعبيرُ باللّام - على الوجهين - حرصَهم على آلهتِهم.

فائدةُ تقديم الجارِّ والمجرور:

بيانُ شِدَّة تعلُّقهم بآلهتهم الباطلة

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ على متعلِّقِه ﴿مُّحْضَرُونَ﴾؛ لإفادة التَّخصيص، أي: تخصيص اجتماع الكفّار وحضورِهم لأجل آلهتِهم؛ ليدفعوا عَنْهُم، على عكس تدبيرِهم، فيُفيد ذلك تقريرَ تمكُّنِهم في شركِهم وشدَّة تعلُّقهم بآلهتِهم.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿جُندٌ﴾:

تسفيهُ عقولِ الكافرين لخدمتِهم آلهتَهم التي لا تضرُّ ولا تنفعُ

جاء التَّعبيرُ بلفظ الجندِ في قوله تعالى: ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾؛ لِما يفيده اللَّفظُ مِن معنى اجتماعِ الكافرين على وصف النُّصرة مع الكثرة في العدد والعدَّةِ على سبيل التَّحزُّب والصَّلابة والغلظة

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/ 307، والنيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 546.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 192.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 50، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 71.

والتَّعصُّب[1]: للذَّبِّ عن آلهتِهم والدِّفاع عنهم ونصرتِهم، كما أفاد اللَّفظُ أنَّ الكافرين بمنزلةِ الخدَمِ لآلهتِهم الَّتي لا تضرُّ، ولا تنفعُ، ففيه تسفيهٌ وتوبيخ للمشركين وتعجيب من حالِهم، حيث كان العاقلُ خادمًا لمن لا يعقلُ.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغة اسم المفعول ﴿مُّحْضَرُونَ﴾:

اجتماع الكفّار وحضورِهم لنصرةِ آلهتهم

عُبِّر بصيغةِ اسم المفعول ﴿مُّحْضَرُونَ﴾؛ للإشعار بأنَّهم يُساقون للحضور لنُصرةِ آلهتِهم، كما أنَّ في صيغة اسم المفعولِ إيذانًا بحصول الحضور حقيقةً، بخلافِ ما لو وردَ في النَّظم القرآنيِّ: (حاضرون)؛ فإنَّهُ حينئذٍ يَحتمل أن يكونوا مستعدّين للحضور، وليسوا حاضرين حقيقةً، وفي التَّعبيرِ باسْمِ المَفْعولِ دونَ الفِعْلِ (يُحضرون)؛ للدَّلالة على استمرار الوصفِ فيهم وثباتِه.

نكتةُ تعدُّد الخبرِ:

التَّعجيبُ من حالِ الكفّارِ

تعدَّدَ الخبرُ في قوله سُبحانه: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾، فـ(هُم) مبتدأ، و﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ خبران للمبتدأ، ونكتةُ الإخبار بخبَرَيْن إفادةُ اجتماعِ المعنيين، فإنَّ العددَ الكثير من الجُنْدِ لا ينفع في النُّصرة؛ إن لم يكونوا حاضِرين، كما أنَّ الحضورَ إن لم يكن لذي جَمْعٍ لا ينفع كذلك في الذَّبِّ والدَّفع والنُّصرة، فالتَّعجيب من اجتماع الكفّار وحضورِهم لنصرةِ آلهتهم، والحالُ أنَّهم عبدوهم لِتَنْصُرَهُم الآلهةُ الباطلةُ لا لِتُنْصَر.

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب وجبل، المعجم الاشتقاقي: (جند).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»